شجرة الورد

قصة بقلم الطيب زروق

كان عادل ينظر الى والده وهو يغرس جذع شجرة الورد في الطين الاخضر الرطب . وقد كان يعرف منذ الصباح ان والده عبدالقادر سيعود من السوق ومعه الشجرة ، فلم يكن يكف عن الحديث عنها لحظة واحدة منذ ان استيقظ من نومه واخذ يستعد للذهاب الى عمله . وقال له وهو يشرب شاي الصباح ، انه سوف يحضر معه شجرة ورد ليزرعها بديوان المنزل بالقرب من شجرة الليمون . وقال ايضا ان منظر الورد شيء جميل ترتاح اليه النفس ويجعل من البيت جنةوطلب منه ان يحافظ عليها ويرعاها ويداوم على ريها بالماء كل صباح.

رأى والده وقد اخذ العرق يسيل من وجهه وهو يقوم بعملية الغرس . اقترب منه ومد يده ليزيح اكوام التراب الصغيرة التي تجمعت حول الحفرة . ولكن نظرة واحدة من عيني والده جعلتهيسحب يده لتعود الى سابق وضعها على حجره بجانب اختها.

وظهر طارق، اخوه الذي يصغره بعامين ، وجلس بجانبه واخذ هو الاخر ينظر الى ابيه والى شجرة الورد ذات الاوراق القليلة المتناثرة على ساقها الطويلة الخضراء . كان هو ايضا يعرف ان اباه سيعود ومعه الشجرة ليغرسها في البيت . سمع والده يقول انها شجرة جديدة ، تختلف عن بقية شجر البيت ، وانها ستكون اجمل شجرة عندما تكبر ويظهر وردها الاحمر .

وانتهى عبدالقادر من غرس الشجرة .
نهض واقفا ، وجفف العرق من وجهه وصدره ، واخذ ينظر الى الشجرة الصغيرة . ابتسمابتسامة كبيرة والتفت الى ولديه الصغيرين وجلس بجانبهما ، واخذ الثلاثة ينظرون الى الشجرة .

قال عادل :
ـ خلاص زرعتها ، يابا ؟
واجابه ابوه :
ـ خلاص . المهم تحافظوا عليها .
قال عادل :
ـ انا بسقيها كل يوم .
قال طارق :
ـ وانا بغطيها من الشمس .
قال عبدالقادر :
ـ انتو اولاد شطار وانا مبسوط منكم . يلا عشان نمشي نتغدى.
وجلسوا ياكلون . وسرح ذهن عادل في الشجرة الصغيرة القائمة في الجدول بقرب شجرة الليمون . لم ير في حياته شجرة صغيرة كهذه ... شجرة ورد . وكان لا يكف عن سؤال نفسه : متى يظهر عليها الورد الاحمر ؟

لم ياكل كثيرا . ذهب وغسل يديه ثم مشى الى الديوان وجلس على الارض بقرب الشجرة ينظر اليها مشدوها وفي حيرة شديدة. وما هي الا دقائق حتى رأى شقيقه طارق يجلس الى جانبه وينظرمثله الى الشجرة بالحيرة نفسها . لم يفتحا فميهما بكلمة . ظلا صامتين وقتا طويلا .. ينظران .

وعند العصر ، ارتدى عبدالقادر ملابسه ودخل الديوان . رأى وعادل وطارق جالسين امام شجرة الورد وقد ربعا ايديهما، وعيناهما لا تتحولان عنها . ابتسم لهما ، وظل برهة يحدق مثلهما ، ثم ربت على راسيهما وانصرف خارجا من المنزل .

وعند منتصف الليل دخل عبدالقادر بيته بعد ان امضىسهرته بالخارج. لم يكن يتوقع ان يرى عادل مستيقظا حتى ذلك الوقت المتاخر . رقد بجانبه على الفراش (عادل يصر دائما على الرقادبجانب والده) بعد ان اطفأ النور . كان يحس بتعب شديد بعد عملمرهق في الصباح وسهرة قاتلة في الليل مع بعض الاصدقاء . النوم كان يتلمس طريقه اليه في هدوء .. عضلات جسمه اخذت ترتخي في كسل لذيذ ، ونسيم تلك الليلة كان يدغدغه في لطف وتخدرت اطرافه وثقلت اجفانه . وجاءه صوت عادل هامسا في حزن :
ـ يابا ، طارق كسر الشجرة !
ومضت دقائق كثيرة .

وفتح عينيه ، ورفع رأسه ثم استوى جالسا فوق الفراش . لم يقل شيئا . التفت الى عادل فوجده قد غادر الفراش وذهب لينام بجانب امه التي كانت تحتضن ابنها طارق بكلتا ذراعيها . وظل على جلسته تلك وقتا طويلا. بعدها تمدد على الفراش مرة اخرى ،واشعل سيجارة واخذ ينظر الى النجوم .

الخرطوم

الطيب زروق